@ 164 @ البدن وبه قوامه وهو أصل بنائه ، فإذا وهن تداعى ما وراءه وتساقطت قوته ، ولأنه أشد ما فيه وأصلبه فإذا وهن كان ما وراءه أو هن ووحد { الْعِظَامَ } لأنه يدل على الجنس ، وقصد إلى أن هذا الجنس الذي هو العمود والقوام ، وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن ولو جمع لكان قصداً آخر وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها . وقال قتادة : اشتكى سقوط الأضراس . قال الكرماني : وكان له سبعون سنة . وقيل : خمس وسبعون . وقيل : خمس وثمانون . وقيل : ستون . وقيل : خمس وستون . وشبه الشيب بشواظ النار في بياضه وانتشاره في الشعر وفشوه فيه وأخذه منه كل مأخذ باشتعال النار ثم أخرجه مخرج الاستعارة ، ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس ، وأخرج الشيب مميزاً ولم يضف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكرياء فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة قاله الزمخشري ، وإلى هذا نظر ابن دريد . فقال : % (واشتعل المبيض في مسوده % .

مثل اشتعال النار في جزل الغضا وبعضهم أعرب { شِيباً } مصدراً قال : لأن معنى { وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ } شاب فهو مصدر من المعنى . وقيل : هو مصدر في موضع نصب على الحال ، واشتعال الرأس استعارة المحسوس للمحسوس إذ المستعار منه النار والمستعار له الشيب ، والجامع بينهما الانبساط والانتشار { وَلَمْ أَكُنْ } نفي فيما مضى أي ما كنت { بِدُعَائِكَ رَبّ شَقِيّاً } بل كنت سعيداً موفقاً إذ كنت تجيب دعائي فأسعد بذلك ، فعلى هذا الكاف مفعول . وقيل : المعنى { بِدُعَائِكَ } إلى الإيمان { شَقِيّاً } بل كنت ممن أطاعك وعبدك مخلصاً . فالكاف على هذا فاعل والأظهر الأول شكراً تعالى بما سلف إليه من إنعامه عليه ، أي قد أحسنت إليّ فيما سلف وسعدت بدعائي إياك فالإنعام يقتضي أن تجيبني آخر كما أجبتني أولاً . .

.

. % (.

وروي أن حاتماً الطائي أتاه طالب حاجة فقال : أنا أحسنت إليك وقت كذا ، فقال حاتم : مرحباً بالذي توسل بنا إلينا وقضى حاجته . .

{ وَإِنّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِى } { الْمَوَالِيَ } بنو العم والقرابة الذين يلون بالنسب . قال الشاعر : % (مهلاً بني عمنا مهلاً موالينا % .

لا تنبشوا بينا ما كان مدفوناً وقال لبيد .

.

. % (

ومولى قد دفعت الضيم عنه .

وقد أمسى بمنزلة المضيم .

. % (

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وأبو صالح { الْمَوَالِىَ } هنا الكلالة خاف أن يرثوا ماله وأن يرثه الكلالة . وروي قتادة والحسن عن النبيّ صلى ا عليه وسلم) : (يرحم ا أخي زكريا ما كان عليه ممن يرث ماله) . وقالت : فرقة إنما كان مواليه مهملين الدين فخاف بموته أن يضيع الدين فطلب ولياً يقوم بالدين بعده ، وهذا لا يصح عنه إذ قال عليه السلام : (نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة) والظاهر اللائق بزكريا عليه السلام من حيث هو معصوم أنه لا يطلب الولد لأجل ما يخلفه من حطام الدنيا . وكذلك قول من قال : إنما خاف أن تنقطع النبوّة من ولده ويرجع إلى عصبته لأن تلك إنما يضعها ا حيث شاء ولا يعترض على ا فيمن شاءه واصطفاه من عباده . قال الزمخشري كان مواليه